



تكسرت أحلام القوميون العرب على صخرة الاستبداد، بعد أن جاهدوا لنصف قرن ليجدوا أن أحلامهم هي مجرد أوهام مارقة عبر زمن الهزائم.

زمن أحوجهم بنهايته للتسول والتشردم على عتبات السلاطين المتهاكمة، يستجدون ثمناً بخساً لبضاعتهم النتنة، التي لم تعد تغني أو تسمن من جوع حتى لإنسان بسيط لا يجد قوت يومه.

هذا الإنسان البسيط ذو الأحلام المتواضعة، لم يعد قادر أن يجتر أفكارهم مهما حاول هؤلاء المتهاكين المتساقطين، تجميلها وتزينها ولفلتها وحبلستها ، لأنها باتت أفكاراً صدمةً منتهية الصلاحية كجيفة نافقة منذ عقدين ونيف، أي منذ عام 1991 عام انهيار نظرية القومية العربية على يد سفاح العراق البعثي القومي، الذي لبس عباءة الدين وتغلى بقضية فلسطين بعد هزيمته المحتومة.

رغم دخول القوميون العرب لغرفة الإنعاش إلا أنهم حاولوا أن يستنهضوا همهم ويشدوا حبال أكاذيبهم يوم الغزو المشؤوم لعراقنا المجيد عام 2003 ، فأعطاهم نفساً قوياً، لم ينتشلهم سوى بضع سنين، لتعود حالتهم أسوأ مما كانت عليه في تموز 2006 حين كشفت الحقائق وظهرت الفوارق وبان انقسامات وطففت المحاور، وباتوا تتلاطمهم أمواج المصالح وأهواء الانتماءات.

ظهر قناعهم الحقيقي الذي يخفي وجههم المقيت تساقط في زمن ربيع الشعوب المنتفضة لكرامتها وحررتها، إنه زمن تحطم

الاستبداد وانكسار قيد العبودية ، زمن استعادة كرامة المواطن والتمتع بحقوق المواطنة، إنه زمن ربيع الشعوب العربية.

فاجأهم وباغتهم وزلزل أقدامهم، فمنهم من ركب موجته وعلا صوته ، ومنهم من أوجس خيفة وقال عنه خريف بل شتاء مخيف وهم الأغلبية ، وخاصة بعد ثورة ليبيا العظيمة المباركة التي أثبتت ثوارها أنهم أبطال حقيقيون في زمن أجدبت فيه أرض البطولة.

ومع انتصار الثورة الليبية رغم أنفهم ، لم يعجبهم ما رأوا فانقلت عقالهم نحو الثورة السورية عليهم يجدون ضالتهم ليغرسوا أنيابهم في جسدها الغض وبيثوا سمومهم عبر دماؤها الزكية الطاهرة.

تراهم يتسولون على صفحات الصحف وشاشات الفضائيات وأبواب القاعات الدبلوماسية، يجترونها أفكارهم المقيتة نفسها، وينفخون في كير أبواقهم السمجة، يكررون أكاذيبهم حول المؤامرات الكونية والممانعة القومية، عليهم يقتاتون من فتات الطغاة كي يعيشوا أياما، وماهي إلا معدودات ، في أوهاام مؤامراتهم ووسائلهم، التي لم تعد تنطلي على طفل صغير.

لقد أدرك هؤلاء أن زمنهم ولى لغير رجعة ، فالآن هو زمن الشعوب التي باتت تقرر مصيرها بكل ثقة بالمستقبل ، من غير منظرين أفاكين ، أو شذاز ، أو موتورين.

المصادر: